تُخْشَى نتائجها ، فما زالت العلاقة بين الأدب والمجتمع قائمة في كونهما ، رفيقين لاينفصمان إذا استعرنا تعبير « هارى ليفن » فى قوله « إن الأدب ليس مجرد معلول لعلة اجتماعية بل إنه العلة لمعلومات اجتماعية» .

وما من شك فى أن الرؤى تلتقي طالما بقيت الحياة لتجمع بين الأبيض والأسود ، أو الملائكى والشيطانى ، لتطرح واقعية الأشياء من خلال تلك الألوان (الرمادية) التى تحكى ما انتهى إليه نيتشه فى قوله : (الحياة طيِّبة لأنها مؤلمة) ، حيث آثر الإيجاز فى مقولته ، لإيمانه بدورها الفعَّال فى فلسفة تلك الحقيقة الجامعة بين السالب والموجب ، بعيدا عن ذلك التبنى الحرفي لما يسمى بالواقعية المتفائلة أو المتشائمة ، إذ يظل الأقرب إلى التصوُّر أن يتم اللقاء والتصالح بين كل تلك الرؤى طالما وجُد الإنسان الذى يستطيع أن يأخذ منها جميعا فى آن واحد أو - على الأقل - يحاول ذلك باعتباره شريكا في صنع المقياس الأخلاقى علي الأشياء .

على أن الاستغراق فى ظلال الرؤية الاجتماعية لايجب أن يسقط من الاعتبار أبعاد الجانب النفسى الذى لابد أن يتأكد فى الفن ، وليس معنى هذا أن نحيل كل مشكلات شعرائنا إلى عُقَد نفسية تَصِمُهم بالنقص أو تُشوِّه صورهم ، ولكن الذي لاشك فيه أن جانبا من هذه العقد قد مسَّ فريقا منهم ، فترجم فى سلوكه ملمحا من عقدته ، على النحو الذى حاسب به الأستاذ العقاد عمر بن أبى ربيعة فى دراسته (شاعر الغزل) وكذا كان ما صنعه فى دراسته العميقة حول (الحسن بن هانئ) ، أو في تحليله لأبعاد شخصية ابن الرومى ونفسيته من خلال شعره . وكذا ما صنعه الدكتور محمد النويهى فى عرضه لشخصية بشار ، ونفسية أبى نواس ، وغير ذلك من الدراسات التى أخذت من الجانب النفسى أساساً لتعميق الرؤى من قبيل الاستقراء والاستقصاء ، وهو ما انسحب أيضا على منطق (جنون العظمة) فى شخص أبى الطيب ، أو توهج الذات عند أبى العلاء .

ومن هذا المنطلق النفسى يمكن الدخول - أيضا - إلى الأعمال الفنية احتراما لكلية الرؤية ، وسعيا إلى تحليل أبعاد عناصر التجربة الجمالية ، ابتداءً من اتباع التعريف الذي ارتضاه ريتشاردز فى كتابه (مبادئ النقد الأدبى) حين شغلته قضية التوصيل باعتباره أساسا لذلك التوازن الحسى المتزامن ، ثم باعتباره نوعا من الاستجابة عند الجمهور فى شكل خاص ، وانسجامى يستثيره فيه العمل الفنى ..